

مناهج التأليف الفقهي عند علماء تلمسان في دور الاستقرار
Methods of jurisprudential authorship by Tlemcen scholars
at the stage of stability

الدكتور: محمد مهدي لخضر بن ناصر

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان – الجزائر.

البريد الإلكتروني: bahtilmi@hotmail.fr

الملخص:

قد قصرت هذه الدراسة على مناهج التأليف الفقهي عند علماء تلمسان؛ وللحديث عن ذلك حديثا أقرب إلى الشمول، وأدنى إلى تحقيق الغاية، جعلت هذه الورقة البحثية تنتظم في مبحثين، خصصت الأول منهما للحديث عن دور الاستقرار وطابع التأليف فيه من حيث الجملة عند أهل هذه الحاضرة، أما المبحث الثاني فاستقل ببيان أنواع التأليف الفقهية لعلماء تلمسان في هذا الدور مع تبين مسالك مؤلفيها فيها فضلا عن قيمة تراث فقهاء هذه الحاضرة علميا ومنهجيا.

الكلمات المفتاحية: التأليف، الاستقرار، المناهج، المالكية، تلمسان.

Abstract:

This study has been limited to two topics, the first of which was devoted to the role of stability and the nature of authorship in terms of sentence in the people of this metropolis , While the second section was able to clarify the types of jurisprudential affiliation of the scholars of Tlemcen in this role with the identification of the course of its authors in addition to the value of the heritage of scholars of this present scientifically and methodically.

Keywords: Authorization, Stability, Curriculum, Maalikis, Tlemcen.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .
أما بعد:

إن مما تفخر به المكتبة الإسلامية العامرة هو ذلك التراث الفقهي الذي يسر الحياة، ويعقد لها القوانين المتعددة لمختلف العصور، حتى يظهر لها حكم الله تعالى في كل حادثة من الحوادث؛ فالفقه الإسلامي غني بأفكاره، ثري بمادته، متسع بأفاهه ومجالاته، وبالرغم من هذه الثروة العلمية العظيمة يعاني الباحثون والدارسون من صعوبات جمة تمثل عقبة في سبيل الوصول إلى مكنوناته والاستفادة التامة من ذخائره؛ وتتمثل المشكلة في بعض جوانبها في الفكر المنهجي للكتابة الفقهية في أي قطر من الأقطار الإسلامية.

وقد استشرع فقهاء المذاهب عامة بكون هذه الصفة العرضية لها أثر كبير على جوهر الفقه، لكن لم تبذل الجهود الكافية لتذليلها وتصحيح مسارها، مع العلم أنه على مرّ السنين أخذ التأليف الفقهي يتجه نحو المنهجية الواضحة والتخصص الموضوعي أكثر من ذي قبل، لذلك توجهت عنايتي في هذا البحث إلى أهم أدوار الفقه ممثلا في دور الاستقرار.

وقد قُصرت هذه الدراسة . حسب ما ورد في نصوص الملتقى . على القطر التلمساني؛ وللحديث عن ذلك حديثا أقرب إلى الشمول، وأدنى إلى تحقيق الغاية، نثرت كنانتي، وملأت عييتي، وحملت أقلامي للكتابة عن تراث فقهاء هذه الحاضرة العلمية في هذه المرحلة، لما تتمتع به من مكانة مرموقة وسط الحواضر العلمية، وحاولت فيها أن أقدم دراسة واضح المعالم، تحل محل التراجم، ولربما رجوت أن أعود مع العائدين حافل العيبة بعد طول الغيبة، مملوء الوطاب، حتى لا أنقلب خاوي الوفاض، دون الغنيمة في الإياب .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا البحث ما هو إلا جزئية من دراسة عامة من مختلف جوانب مناهج التصنيف في المذهب المالكي في هذا القطر، قصدت من ورائها إظهار بعض الجوانب الخفية التي ظلت مغفلة، لم تصل إليها أقلام الدارسين، ولا توجهت إليها عنايتهم.

أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية البحث في هذا الموضوع فيما يلي :

أولاً: إن الحكم على طريقة أو منهج من مناهج التأليف الفقهي في مدرسة من المدارس الفقهية كالتلمسانية، ينبني على معرفة تاريخ تطور البناء المعرفي فيها، كما يستلزم الوقوف عند خصائص المرحلة التي هي قيد الدراسة واقعا ومآلا.

ثانياً: خلف هذا الدور في القطر التلمساني جملة من الكتب الفقهية، جمعت فأوعت، ودرست فحررت، ونقحت فهذبت، لذا كان صرف أقلام الباحثين إليها من الأهمية بمكان.

ثالثاً: بذل فقهاء هذه الحاضرة في هذا الدور مجهودات أصيلة أخضعوا فيها كتب المراحل المتقدمة من أمهات ودواوين لدراسات عميقة متأنية تمحيصية . كان نتائجها كتباً فقهية جديدة في منهجها التألفي وأسلوبها، قديمة في مادتها ومضمونها .، مختصرة في توسع أو مطولة في إسهاب.

رابعاً: إن بيان مسالك التأليف الفقهي في مدرسة من المدارس كفيل بإعطاء صورة دقيقة وواضحة لأنواع التصانيف الفقهية السائدة في هذا الدور.

أهداف البحث:

يمكن حصر أهداف البحث في أمرين اثنين:

الأمر الأول: بيان آليات التلخيص وإنشاء المنظومات والتحرير والتهديب لمسائل الأحكام على المنهج التلمساني الخالص، فقد كان لهذا المنهج تأثير قوي في دفع العمل الفقهي فيما بعد.

الأمر الثاني: الوقوف على باقي أنواع التأليف الفقهية كالشروح والحواشي والخواتيم والتقارير والتي هي سمة غالب مؤلفات الفقه النظري التلمساني في هذا الدور، دون إغفال مقابله . أعني: الفقه التطبيقي . والذي اتخذ أيضا منحى مماثلا، أي: بالتوسع فيه في مصنفات تابعت تنزيل الأحكام الشرعية على الوقائع والمشكلات والنوازل متبعة في ذلك منهج التفصيل في الصور العملية لمسائل الأحكام، مع توثيقها ودراستها من حيث الوفاء بتحقيق المصالح الشرعية المنوطة بها على حسب مقتضيات الأحوال.

الإشكالية:

جوهر الإشكال في هذا البحث يدور حول مدى صحة الادعاء المتعلق بحاضرة تلمسان عموما وفي دور الاستقرار بشكل خاص من حيث مناهج التأليف فيه من أن السمة الغالبة عليه هي الاختصار .

ويتفرع على التسليم بصحة الادعاء أسئلة أخرى؛ أهمها: 1- هل كانت الحاجة ماسة إلى هذا النوع من التأليف في تلك المرحلة، وأيضا في الأزمنة الموالية خاصة ما بعد القرن السابع؟ 2- وهل كان هذا التوجه في مقابل ضعف الهمم عن تحصيل المطولات وكلل العقول في البحث عن أوجه الدليل ومرامي الشريعة وحكمها ومقاصدها؟.

كما يترتب على تفنيد الادعاء أسئلة أخرى، تدور في مجملها حول ماهية أنواع التأليف الفقهية التلمسانية الأخرى، وكذا حقيقة مسالك مؤلفيها فيها فضلا عن قيمتها العلمية والمنهجية.

خطة البحث:

قد جعلت هذه الورقة البحثية تنتظم في مبحثين فقط، خصصت الأول منهما للحديث عن دور الاستقرار وطابع التأليف فيه من حيث الجملة عند أهل هذه الحاضرة، وأسباب ذلك، أما المبحث الثاني فاستقل ببيان أنواع

التأليف الفقهية لعلماء تلمسان في هذا الدور مع تبين مسالك مؤلفيها فيها فضلا عن قيمتها علميا ومنهجيا.

وأحمد الله عز وجل أولا وآخرا على توفيقه إياي للكتابة في هذا الموضوع، فله الفضل كله، وله المن كله، وإليه يرجع الأمر كله، ولا يسعني إلا أن أقول: ما كان من صواب فمن الله وحده وبفضله وتوفيقه، وما فيه من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان، والله المستعان وعليه التكلان؛ إذ قلما يخلص بحث من الهفوات، أو ينجو مؤلف من العثرات.

المبحث الأول: التعريف بدور الاستقرار وطابع التأليف فيه عند أهل هذه الحاضرة.

المطلب الأول: التعريف بدور الاستقرار المذهبي.

أولا: مجاله الزمني.

يرى الدكتور عمر الجيدي في كتابه مباحث في المذهب المالكي بالمغرب أن المذهب المالكي مرّ بمراحل خمسة، هي مرحلة التأسيس والتفريع والتطبيق والتنقيح ثم الجمع والاختصار، وهذا باعتبار العمل الفقهي، بينما ذهب جل الدارسين إلى تقسيم تاريخ المذهب المالكي إلى ثلاثة أطوار رئيسة: طور النشوء، وطور التطور، وطور الاستقرار.

ويبدأ هذا الأخير. أقصد: دور الاستقرار. بمطلع القرن السابع هجري، أي: حين تجلت وبدأت معالم انضباط المذهب؛ فقد بذل فقهاء الدور السابق مجهودات أصيلة أخضعوا فيها كتب المرحلة الأولى من أمهات ودواوين لدراسات عميقة متأنية تمحيصية. كان نتائجها كتباً فقهية جديدة في منهجها التأليفي وأسلوبها، قديمة في مادتها ومضمونها. بمنهج قويم أقرب إلى منهج النظائر العراقيين، مختصرة في توسع أو مطولة في إسهاب.

كما ورث علماء الفترة الثالثة جملة من الكتب جمعت فأوعت ودرست فحررت ونقحت وهذبت وفرعوا وخرجوا على نصوصها لفترة زمنية معينة¹.

ثانياً: المدارس المالكية في هذا الدور.

شهد الدور الثاني بداية امتزاج آراء مدارس المذهب المالكي وصهرها في بوتقة أنتجت كتباً فقهية تمثل المذهب بغض النظر عن الانتماء المدرسي للآراء.

تطور هذا الامتزاج فغدا معلمة متكاملة، هي سمة دور الاستقرار، وساعد على وجود هذه الوحدة عوامل عدة منها²:

أولاً: غياب المدرسة العراقية والمدرسة المدنية عن ساحة النشاط المذهبي، ولا يستلزم غيابهما عدمهما، بل هو غياب تأثير علمي من حيث الآراء والكتب، ويستثنى من ذلك ما كان من ابن فرحون في المدينة المنورة.

ثانياً: ضعف الدولة الإسلامية في الأندلس، وتمزقها إلى دويلات وما أعقب ذلك كله من غزو صليبي اكتسح الدولة اكتساحاً كاملاً، وخرج إثره المسلمون من الأندلس فغابت المدرسة المالكية فيها، ولكن تأثيرها العلمي ظل ماثلاً قوياً في المذهب من خلال انصهارها مع المدرسة الإفريقية، بعد أن هاجر علماؤها إلى هذه البلاد بأقطارها المختلفة³.

ومن ثم لم يبق في ميدان النشاط المذهبي إلا مدرستان: هي المصرية والإفريقية بمعناها العام؛ وكانت العلاقات العلمية بينهما قوية جداً، فخليل بن إسحاق اعتمد في مختصره على أعلام المدرسة المصرية كما لم يغفل المغاربة كابن عبد السلام وابن هارون فضلاً عن اللخمي والمازري وابن يونس.

¹ اصطلاح المذهب عند المالكية لمحمد إبراهيم علي، ص375.

² المرجع نفسه، ص375.

³ شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف، ص150-151.

وظهر في المقابل الإمام ابن عرفة الورغي في الضفة الأخرى، حيث اشتهر بتحقيقاته في المذهب لم يلبث شراح خليل كتاج الدين الدميري الشهير بهرام بن عبد الله في كتابه الشامل أن قرروها، كما اعتمدوا استظهاراته أيضا.

ثالثا: سلمية الترجيح بين الروايات والأقوال.

والقاعدة المعتمدة في هذا الدور يلخصها أبو الحسن الطنجي كما نقله عنه ابن فرحون في تبصرته؛ يقول: «قول مالك في المدونة أولى من قول ابن القاسم فيها، لأنه الإمام الأعظم، وقول ابن القاسم فيها أولى من قول غيره فيها، لأنه أعلم بمذهب مالك رضي الله تعالى عنه، وقول غيره فيها أولى من قول ابن القاسم في غيرها، وذلك لصحتها»⁴.

ويزيد الخرشي ضابط الترجيح وضوحا، وهذا حاصله⁵:

1- قول الإمام الذي رواه ابن القاسم في المدونة.

2- قول الإمام الذي رواه غير ابن القاسم في المدونة.

3- قول ابن القاسم في المدونة.

4- قول غير ابن القاسم في المدونة.

5- قول الإمام الذي رواه ابن القاسم في غير المدونة.

6- قول الإمام الذي رواه غير ابن القاسم في غير المدونة.

7- قول ابن القاسم في غير المدونة.

8- ثم أقوال علماء المذهب.

أما فيما يخص تصنيف الآراء الفقهية طرعا واعتمادا، فإن الرأي الفقهي لا يعدو إحدى هذه الدرجات الثلاث:

1- الراجح: وهو ما قوي دليله.

⁴ تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام لابن فرحون، ج2 ص323.

⁵ شرح الخرشي على مختصر سيدي خليل، ج1 ص36.

2- المشهور: واختلفوا في حده على أقوال ثلاثة: أ- ما قوي دليله. ب- ما كثر قائلوه، وهو المعتمد عند أكثر المتأخرين. ج- رواية ابن القاسم عن مالك في المدونة.

3- الضعيف ويقابل الراجح، والشاذ ويقابل المشهور.

فإذا صح في مسألة ما قول راجح أو مشهور فلا يجوز العدول عنه إلى الشاذ والضعيف إلا إذا صاحبه جريان العمل⁶.

المطلب الثاني: طابع التأليف في هذه المرحلة عند علماء حاضرة تلمسان علميا ومنهجيا.

أولا: علميا.

إن المتصفح لهذه الكتب ليجد نفسه أمام موسوعات علمية وفقهية واسعة، ويمكن أن نجمل القيمة العلمية لهما في النقاط التالية:

1- قد أعطت تلك الكتب مجموعة من الحلول لقضايا معينة، ومن هنا جاء هذه المصنفات لتقدم إضافات جديدة في كتب الفقه المالكي لما فيه من تنزيل لأصول المالكية على مسائل جديدة لم تكن في الكتب الأمهات.

2- لكون فقهاء تلمسان أصدروا نوازلهم بصيغ متعددة ومختلفة فقد أعطت هذه النوازل انعكاسا لجوانب متعددة من الحياة في عصره سياسيا واقتصاديا واجتماعيا آنذاك.

3- الفقه المقارن المذهبي؛ إذ لم يكن علماء المالكية في هذا القطر نسيجا واحدا، ولا كانت آراؤهم قالبا متحدا، بل تعددت آراؤهم واختلفت في كبرى المسائل وصغارها، حتى إنك لتجد في المسألة الواحدة عشرات الأقوال كل يدلي فيها دلوه، ويعلل رأيه واختياره، حتى لكأن كل واحد منهم يمثل مدرسة قائمة واتجاهها منفردا.

⁶ التعارض بين الراجح والمشهور في المذهب المالكي للريسوني، ص 14-15؛ مباحث في المذهب المالكي بالمغرب للجدي، ص 47.

4- وفي هذه الكتب نجد أيضا الخلاف الفقهي داخل المذهب سيد الموقف، إذ إن المؤلفين عادة ما يستحضرون في مواطن كثيرة مختلف الأقوال الواردة في المسألة.

5- لقد أولى فقهاء الحاضرة عناية كبيرة بضبط الجزئيات والمسائل، ونهوا على الأصول الاستفادة منها؛ وبهذا الضبط يتعرف على طرق التخرج في المذهب وإلحاق الفروع بأشباهاها واستخراج، كما يتيح للمجتهدين القضاء فيما يجد من حوادث على منهجهم في الاستنباط، وذلك بمقتضى أحد الأصول التي تضبط فروع اجتهاداتهم، ولا يقفوا في إطار جملة من الأحكام مروية عن الإمام، أو آراء منقولة عن الأتباع.

ثانيا: منهجيا.

إن الحكم على طريقة من طرق التأليف في المذهب ينبني على معرفة تاريخ تطور البناء المعرفي فيه، كما يستلزم الوقوف عند خصائص كل مرحلة ومدى صلاحية منهج التصنيف فيها.

واستنادا إلى ما سبق؛ فقد نصّ الباحثون على أن سمة دور الاستقرار من حيث التأليف هو طابع الاختصار، والتي كانت الحاجة ماسة إليها في الأزمنة الموالية خاصة ما بعد القرن السابع، حيث ضعفت الهمم عن تحصيل المطولات، وكلت العقول في البحث عن أوجه الدليل ومرامي الشريعة وحكمها ومقاصدها.

وأصبح التأليف في الفقه المالكي منذ دخول هذا القرن يتم وفق منهجين:

المنهج الأول: هو منهج متابعة التلخيص والتحرير والتهذيب لمسائل الأحكام على الطريقة المعهودة في الدور السابق، فقد كان لمنهج الاختصار المحكم الذي ظهر على يد الإمام الغزالي في المذهب الشافعي بكتاب الوجيز تأثير قوي في دفع العمل الفقهي على ذلك المنهج كما صرح به ابن شاس في مقدمة الجواهر⁷.

⁷ عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة لابن شاس، ت: أبو الأجفان وعبد الحفيظ منصور، ج1 ص4.

المنهج الثاني: إذا كانت المختصرات والشروح والحواشي هي سمة غالب مؤلفات الفقه النظري في هذا الدور فإن مقابله .أي: الفقه التطبيقي . اتخذ منحى مماثلاً، أي: بالتوسع فيه في مصنفات تابعت تنزيل الأحكام الشرعية على الوقائع والمشكلات والنوازل متبعة في ذلك منهج التفصيل في الصور العملية لمسائل الأحكام، مع توثيقها ودراستها من حيث الوفاء بتحقيق المصالح الشرعية المنوطة بها على حسب مقتضيات الأحوال، وهي ممثلة في كتب الأحكام والوثائق⁸.

المبحث الثاني: أنواع التأليف الفقهية لعلماء حاضرة تلمسان

لقد ألف علماء تلمسان في هذا الدور العديد من المؤلفات الجامعة الماتعة المفيدة، في كل فن من توحيد وفقه وأصول، ومعقول ومنقول، بيد أننا سنقتصر هنا على المصنفات الفقهية منها.

ثم إن التأليف المصنفة أيضاً على ضربين: مستقلة: وهي ما صُنِّفَ فيه استقلالاً، وغير مستقلة، وهي ما صُنِّفَ فيه على أطراف كتاب أو مؤلف آخر، وتفصيلها على النحو الآتي:

المطلب الأول: المستقلة.

أولاً: المتون والمختصرات.

فقد عُرِّفَ المتن بأنه: كلمات مختصرة في رسالة صغيرة، تجمع بين سهولة النطق وجمال العبارة، وبين إيجاز الألفاظ وكثرة المعاني، تصاغ نثرًا أو نظمًا، تخلو في الغالب من الاستطراد أو التفصيل؛ كالشواهد والأمثلة إلا في حدود الضرورة⁹.

ومن المختصرات المصنفة في هذا الدور:

-الواعي في الفقه للداودي¹⁰

⁸ اصطلاح المذهب عند المالكية لمحمد إبراهيم علي، ص403.

⁹ المدخل الفقهي العام للزرقا، ج1 ص187

-الواعي لمسائل الأحكام والتداعي للونشريسي¹¹، ذكره في كتابه الآخر الموسوم بإيضاح المسالك¹².

ثانيا: المنظومات والأراجيز.

هي الأشعار التي تهدف إلى تعليم الناس وتشتمل على المضامين الأخلاقية، الدينية، الفلسفية، أو التعليمية عموما، أو قل هي التي يراد بها الأراجيز والقصائد التاريخية أو العلمية التي جاءت في حكم الكتب وكذلك الكتب التي نظمها فجاءت في حكم الأراجيز والقصائد وهو ما يعبر عنه المتأخرون بالمتون المنظومة كألفية ابن مالك في النحو وغيرها مما يجمع قضايا العلوم والفنون وضوابطها¹³.

ومن الأراجيز التي ألفت في هذه الفترة: المقنع الشافي لابن مرزوق الحفيد، وهي أرجوزة في الميقات في ألف وسبعمائة بيت.

ثالثا: الأجوبة والفتاوى والنوازل.

وهي عبارة عن مؤلفات فقهية لعلماء أجلاء عالجا فيها أحداثا ووقائع رفعت إليهم لبيان الحكم الشرعي فيها.

ومثال ذلك:

-الأموال للداودي، وهو فتاوى وأحكام في الأمور العارضة وفيما جرى عليه الحال في البلدان المفتوحة مثل صقلية وأندلس وبعض بلدان إفريقية الجنوبية، وبعض النوازل الفقهية التي كانت في عصر المؤلف.

¹⁰ شيخ الإسلام أحمد بن نصر الداودي الأسدي، الأموي، الطرابلسي، التلمساني المالكي، أحد فقهاء المالكية المشهورين، توفي سنة 402 هـ. ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاظمي عياض، ج7 ص102-103.

¹¹ أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي التلمساني الأصل والمنشأ، الفاسي الدار والوفاة والمدفن، له العديد من المؤلفات، توفي سنة 914 هـ. انظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ج1 ص223.

¹² إيضاح المسالك للونشريسي، ص 223.

¹³ الأدب العربي في الأندلس لعبد العزيز عتيق، ص329

-المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب. لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي.

-اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة لابن مرزوق الحفيد، وهو أجوبة عن مسائل في فنون العلم وردت عليه من علامة قفصة أبي يحيى ابن عقيبة فأجابه عنها.

-الروض البهيج في مسائل الخليج له أيضا.

رابعاً: الوثائق والشروط .

والمؤلفون في هذا اللون من التصنيف عادة ما يبحثون في كيفية إثبات العقود والتصرفات والالتزامات على الوجه المعتد به شرعاً¹⁴.

من ذلك:

-كتاب المنهج الفائق والمئهل الرائق والمعنى اللائق بأداب الموثق وأحكام الوثائق للونشريسي.

خامساً: الرسائل .

وهي تعليقات قيمة ومختصرة لمن أحاط علماً بالمذاهب الأربعة، تعالج في الغالب باباً واحداً أو ما يقرب من ذلك، مشتملة على قواعد علمية¹⁵:

ومن الرسائل التي ألفت في هذا الدور: الروض البهيج في مسائل الحجيج لابن مرزوق الحفيد .

سادساً: الخاتمات.

عرفها الأستاذ أحمد بشيري بقوله: "هي تلخيص موجز في صيغة تعليق تقييبي، يبرز فيه الشيخ المؤلف عبقريته العلمية وأستاذيته ومهارته في فنون المجادلة والمناظرة في علوم الكلام والمعاني والتأويلات اللغوية والتفسيرية تبعاً للمتون

¹⁴ ظهور علم التوثيق في الفقه المالكي لعمر الجيدي، ص124.

¹⁵ موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي، ج1 ص559.

والشروح، سواء تعلق الأمر بمسألة فقهية أو نحوية أو منطقية، وأحيانا تكون الخاتمة إضافة موضوعية معتبرة يكتمل بها المتن في شكله النهائي وكأنها توقيع شخصي من الشيخ الأكبر سنا والأعز علما والأشمل معرفة والأجل مرتبة بين أقرانه والأوثق مرجعية لأهل العلم والنظر في مجال الإنجاز الفكري والحضاري¹⁶.
ومن الخواتيم المؤلفة نجد: الدليل المومي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي.

المطلب الثاني: غير المستقلة.

أولا: الشروح.

والشرح هو: عمل وُضِعَ إلى جانب المتن، يتوخى فيه توضيح ما غمض وتفصيل ما أجمل منها، ويتراوح بين الطول والقصر، والسهولة والعسر، وفيه الوجيز والوسيط والبسيط، وهو سمة غالب مؤلفات الفقه النظري لا سيما في دور الاستقرار الذي خضعت لهم المذهب في الجملة¹⁷.

ومن أهم الشروح التي صنفت في هذه المرحلة ما يلي:

- المنزعة النبيل في شرح مختصر خليل لابن مرزوق الحفيد¹⁸، شرح منه كتاب الطهارة في مجلدين، ومن الأقضية إلى آخره في سفرين.
- مغني النبيل شرح مختصر خليل للمغيلي¹⁹.
- شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي لأبي زيد الشهير بابن الإمام²⁰.

¹⁶ علماء من المغرب العربي في الأزهر الشريف لبشير، ص15-17.

¹⁷ المخطوطات الدمشقية لطباع، ص45.

¹⁸ هو محمد بن أحمد بن الخطيب شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي فقيه مفسر حافظ للحديث، حجة في الإفتاء عند المالكية، توفي سنة 842 هـ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي، ج7 ص510؛ نيل الابتهاج للتنبكي، ص574.

¹⁹ محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، كان له دور كبير في نشر الإسلام في أدغال وممالك أفريقيا السوداء، هو غزير التأليف. ينظر: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ليحي بوعزيز ج2 ص143. تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمان الجيلالي، ج3 ص71.

-شرح التلمسانية في الفرائض لابن زاغو²¹.

-شرح الحوفية للعقباني²².

ومتن الحوفية هو مختصر في علم الفرائض للشيخ أحمد بن محمد بن خلف أبي القاسم الحوفي القاضي المالكي العالم بالفرائض (ت588هـ)، والشرح لا يزال مخطوطاً ولم يحقق والله أعلم.

ثانياً: الحواشي .

والحاشية هي: تعليقات وإيضاحات مطولة، دعت إليها ظاهرة انتشار المتون أو المختصرات وشروحها، وهو منهج من مناهج التأليف في العلوم الإسلامية بمختلف فروعها، سلكه علماء المسلمين . بمختلف مذاهبهم وتخصصاتهم . في عصورهم السابقة واللاحقة لأغراض تعليمية، وقد قصد منها حلّ ما يستغلّق من الشرح، وتيسير ما يصعب فيه، واستدراك ما يفوته، والتنبيه على الخطأ، والإضافات النافعة وزيادة الأمثلة والشواهد، وقد ظهر هذا في التأليف العربي في نهاية القرن السابع هجري²³.

ولأعلام هذه المرحلة حواش كثيرة نذكر منها:

²⁰ ابن الإمام التنسي البرشكي أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله، عُرفَ هو وأخوه أبو موسى عيسى بابي الإمام البرشكي، واشتهرا بالرسوخ في العلم، وكنا على جانب كبيرٍ من التقوى والاستقامة، انظر: الإحاطة لابن الخطيب، ج 2 ص200.

²¹ هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المغراوي التلمساني الشهير بابن زاغو العالم الفرضي المحقق، له تأليف منها: منتهى التوضيح في الفرائض، وشرح مختصر ابن الحاجب الفرعي، توفي سنة 845هـ. ينظر ترجمته في: توشيح الديباج للقرافي، ص62؛ البستان لابن مريم، ص41.

²² هو الإمام أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد العقباني التُّجِيبِي التلمساني، ولي القضاء ببجاية وتلمسان وسلا ومراكش ووهران وهنين، توفي سنة (811هـ)، ودفن في تلمسان. ينظر: نفح الطيب للمقري، ج5 ص428.

²³ منهج كتابة الفقه المالكي لبدوي، ص 72

حاشية على مختصر ابن الحاجب الفقهي لأبي عبد الله المقرئ²⁴ - وإن كانت في الواقع هي أشبه ما تكون بالشرح أكثر منها إلى الحواشي إلا أننا ذكرناها هنا جريا على اصطلاح المؤلف فقط .

ثالثا: التعليقات .

وهي ما يكتبه التلميذ عن شيخه، التعليقة طريقة رائدة في التعلم التعليق أو التعليقة طريقة رائدة في التعلم، عُرِفَتْ ابتداءً من النصف الثاني من القرن الهجري الثاني، وهي بمثابة (دفتر التحضير) بالنسبة للعالم، أمّا بالنسبة للتلميذ، فهي بمثابة المفكرة، يُسَطَّرُ فيها ما يُلقِيه عليه معلّمه، أو ما يخطر له عند مذاكرته لمادة المعلوم، وبحسب ما تجده التعليقة من عناية صاحبها، تهذيباً وترتيباً وإضافة أو تعديلاً، قد ترتقي لتكون مُصنّفاً كاملاً.

ومثاله: تعليق على رسالة خليل لابن مريم²⁵ في ضبطها وتفسير بعض ألفاظها.

رابعا: التقارير.

أما التقرير فهو عبارة عن هوامش كان يسجلها العلماء والمصنفون على أطراف نسخهم، وذلك أثناء قيامهم بالتدريس من الشروح والحواشي.

الخاتمة:

وهذه أهم النتائج المتوصل إليها باختصار:

أولاً: قد تولى في هذا الدور الكثير من أئمة المالكية التلمسانيين مهمتي الإفتاء والقضاء، مما ربطهم بواقع الناس وما يعيشون، فانفتحت للقضاة والمفتين بذلك

²⁴ هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد القرشي المقرئ، ولد بتلمسان في أيام السلطان أبي حمو موسى، وأخذ عن علمائها ممن أخذ عنهم الشريف التلمساني، وسار إلى تونس ثم فاس ودرس عن علمائها، توفي سنة 759 هـ، انظر: الديباج لابن فرحون، ص 288.

²⁵ هو محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم، المليتي نسباً، المديوني أصلاً، التلمساني منشأً ووفاء: مؤرخ، وفقهه، متكلم، توفي بعد سنة 1014 هـ انظر: معجم أعلام الجزائر لعادل نويمس، ص 292.

أبواب واسعة للاجتهاد، فاکتھلوا السھاد، واستوطنوا الوھاد وحملوا الزاد للنجاة يوم المعاد.

ثانيا: قد صبغت الساحة العلمية بكم هائل من النوازل، بذل فیھا العلماء مجهودات جبارة تدل على إسهامات فعالة، حفظت الأيام بعضها، وغاب عنا البعض الآخر فیما غاب من تراث.

ثالثا: أحسن فقهاء تلمسان التعامل مع النوازل والمستجدات بعقلية علمية یقفظة، قد قلبوا النظر بتحکیم الشرع فیھا عن طریق استعمال أدوات الاجتهاد التي تجعل الشريعة مرنة تواكب التطورات والمتغیرات.

رابعا: إن منهج علماء تلمسان فی التألیف الفقهي کفیل بإعطاء صورة دقيقة لأنواع التصانیف السائدة فی دور الاستقرار.

خامسا: أضراب تصانیفه الفقھية فی الغالب هي امتداد لغيرھا من الأنواع ممن شكل نواة هذه المدرسة.

سادسا: هناك تصانیف عديدة انفرد اعلام هذا القطر باستحداث طريقة فريدة فیھا بالتألیف كالأخواتیم والرسائل.

وأحمد الله عز وجل أولا وآخرا على توفيقه إیای للكتابة فی هذا الموضوع، فله الفضل كله، وله المن كله، وإليه يرجع الأمر كله، ولا یسعني إلا أن أقول: ما كان من صواب فمن الله وحده وبفضله وتوفيقه، وما فیھ من خطأ فمني ومن الشیطان، والله ورسوله منه بریئان، والله المستعان وعليه التكلان؛ إذ قلما یخلص بحث من الهفوات، أو ینجو مؤلف من العثرات.

قائمة المصادر والمراجع:

1- الإحاطة فی أخبار غرناطة لابن الخطیب، بیروت: دار الکتب العلمية، ط1، 1424ھ.

2- الأدب العربي فی الأندلس لعبد العزیز عتیق، بیروت: دار النهضة العربية، ط1، 1976م.

- 3- اصطلاح المذهب عند المالكية محمد إبراهيم علي، دبي: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط1، 1421هـ، 2000م، ط2، 1423هـ، 2002م.
- 4- أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ليحي بوعزيز، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1995م.
- 5- إيضاح المسالك للنوشرسي، ت: أحمد الخطابي، المغرب: مطبعة فضالة، دط، 1400هـ، 1980م.
- 6- منهج كتابة الفقه المالكي لبدوي، دبي: دار البحوث، ط1، 1423 هـ، 2002 م.
- 7- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم، الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1326هـ، 1908م.
- 8- تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمان الجيلالي، بيروت: دار الثقافة، دط، 1403هـ، 1983م.
- 9- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام لابن فرحون، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1406هـ، 1986م.
- 10- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض، ت: مجموعة من الباحثين، المغرب: مطبعة فضالة، ط1، دت.
- 11- التعارض بين الراجح والمشهور في المذهب المالكي للريسوني، بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1430هـ، 2009م.
- 12- توشيح الديباج وحية الابتهاج للقرافي. ت: علي عمر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1425هـ، 2004م.
- 13- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون، ت: محمد الأحمدي، القاهرة: دار التراث، دط، دت.

- 14- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية؛ لابن مخلوف، القاهرة: المطبعة السلفية، دط 1350هـ.
- 15- شرح الخرشي على مختصر سيدي خليل، بيروت: دار الفكر، دط، دت.
- 16- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي، بيروت: دار مكتبة الحياة، دط، دت.
- 17- ظهور علم التوثيق في الفقه المالكي لعمر الجيدي، مقال علمي في مجلة دار الحديث الحسنية بالمغرب، ع: 5، 1406 هـ.
- 18- عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة لابن شاس، ت: أبو الأجنان وعبد الحفيظ منصور، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1415هـ، 1995م.
- 19- علماء من المغرب العربي في الأزهر الشريف لبشير، الجزائر: منشورات ثالة بالأبيار، دط، 2007 م.
- 20- مباحث في المذهب المالكي بالمغرب للجيدي، الرباط: مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 1993م.
- 21- المخطوطات الدمشقية لطباع، سوريا: الهيئة العامة السورية للكتاب، دط، 2009م.
- 22- المدخل الفقهي العام لأحمد مصطفى الزرقا، دمشق: دار القلم، ط1، 1418هـ، 1998م.
- 23- معجم أعلام الجزائر لعادل نويهيض، بيروت: مؤسسة نويهيض الثقافية، ط2، 1980.
- 24- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، دمشق: مطبعة الترقى، دط، 1957.
- 25- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي، ت: دحروج، بيروت: مكتبة لبنان، دط، دت.

- 26- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري، ت: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، دط، دت.
- 27- نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي، ت: عبد الله هرامة، طرابلس: دار الكاتب، ط2، 2000م.